سُورَةُ مَرْيَمَ (١)



﴿ كهيعص ① ﴾

هذه خمسة حروف مقطعة ، تُنطق باسم الحرف لا بمُسمَّاه ، لأن الحرف له اسم وله مُسمَّى ، فمثلاً كلمة (كتب) مسماها (كتب) ، أما بالاسم فهى كاف ، تاء ، باء . فالاسم هو العَلَم الذى وُضِع للدلالة على هذا اللفظ .

وفى القرآن الكريم سور كثيرة ابتُدئَتْ بحروف مُقطعة تُنطق باسم الحرف لا مُسمَّاه ، وهذه الحروف قد تكون حَرفاً واحداً مثل : ن ، ص ، ق . وقد تكون حرفين مثل : طه ، طس . وقد تكون ثلاثة أحرف مثل : الم ، طسم . وقد تأتى أربعة أحرف مثل : المر . وقد تأتى بخمسة أحرف مثل : كهيعص ، حمعسق .

(١) سورة مريم هى السورة (١٩) فى ترتيب المصحف الشريف ؛ وهى سورة مكية ، عدد آياتها ٩٨ آية . وهى السورة الثالثة والأربعون فى ترتيب النزول ، وقد نزلت بعد سورة فاطر وقبل سورة طه . قاله ابن الضريس فى فضائل القرآن ، نقله السيوطى فى الإتقان فى علوم القرآن (١/٢٧) . وسورة مريم تقع كلها فى الجزء السادس عشر من القرآن .

لذلك نقول : لا بُدَّ فى تعلُّم القرآن من السماع ، وإلاَّ فكيف تُفرِّق بين الم فى أول البقـرة فتنطقها مُـقطَّعة وبين ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الشرح] فتنطقها موصولة ؟ وصدق الله تعالى حين قال : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ۝١٨﴾ [القيامة]

ونلاحظ فى هذه الحـروف أنه يَنطِـق بالمـسمَّى المـتـعلم وغـيـر المتـعلم ، أما الاسم فـلا ينطق به ولا يعرفـه إلا المتعـلّم الذى عرف حروف الهجاء . فإذا كان الرسول ﷺ أمياً لم يجلس إلى معلم ، وهذا بشهادة أعدائه ، فمن الذى علمه هذه الحروف ؟

إذن : فإذا رأيت هذه الحـروف المقطعـة فاعلم أن الحق سبـحانه وتعالى نطق بهـا بأسماء الحروف ، ونـحن نتكلم بمُسمَّيـات الحروف لا بأسمائها .

ثم يقول الحق سبحانه :

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ۝٢﴾

الذكْـر : له معـانٍ متـعددة ، فـالذكْر هو الإخـبار بشىء ابتـداءً ، والحديث عن شىء لم يكُنْ لك به سابق معـرفة ، ومنه التذكير بشىء عرفته أولاً ، ونريد أن نُذكِّرك به ، كـما فى قوله تعالى : ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ۝٥٥﴾ [الذاريات]

ويُطلَق الذكْـر على القرآن : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝٩﴾ [الحجر] وفى القرآن أفضل الذكر ، وأصـدق الأخبار والأحداث . كما يُطلق الذكر على كل كتـاب سابق من عند الله ، كما جاء فى قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝٤٣﴾ [النحل]

والذكْر هو الصِّيت والرِّفْعة والشرف ، كما فى قوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ .. (٤٤)﴾ [الزخرف] وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ .. (١٠)﴾ [الأنبياء] أى : فيه صيتكم وشرفكم ، ومن ذلك قولنا : فلان له ذِكْر في قومه .

ومن الذكْر ذِكْر الإنسان لربه بالطاعة والعبادة ، وذِكْر الله لعبده بالمثوبة والجزاء والرحمة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ .. (١٥٢)﴾ [البقرة]

فقوله تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ .. (٢)﴾ [مريم] أى : هذا يا محمد خبر زكريا وقصته ورحمة الله به .

والرحمة : هى تجليّات الراحم على المرحوم بما يُديم له صلاحه لمهمته ، إذن : فكلُّ راحم ولو من البشر ، وكلُّ مرحوم ولو من البشر ، ماذا يصنع ؟ يعطي غيره شيئاً من النصائح تُعينه على أداء مهمته على أكمل وجه ، فما بالك إنْ كانت الرحمة من الخالق الذى خلق الخلق ؟ وما بالك إذا كانت رحمة الله لخير خَلْقه محمد ؟

إنها رحمة عامة ورحمة شاملة ؛ لأنه ﷺ أشرف الأنبياء وأكرمهم وخاتمهم ، فلا وَحْىَ ولا رسالة من بعده ، ولا إكمال . إذن : فهو أشرف الرسل الذين هم أشرف الخَلْق ، ورحمة كل نبى تأخذ حظها من الحق سبحانه بمقدار مهمته ، ومهمة محمد أكرم المهمات .

وكلمة (رَحْمَة) هنا مصدر يؤدى معنى فعله ، فالمصدر مثل الفعل يحتاج إلى فاعل ومفعول ، كما نقول : آلمنى ضَرْب الرجل ولدَه ، فمعنى : ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢)﴾ [مريم] أى : رحم ربُّك عبده زكريا .

لذلك قال تعالى : ﴿ رَحْمَتِ رَبِّكَ .. (٢) ﴾ [مريم] لأنها أعلى أنواع الرحمة ، وإنْ كان هنا يذكر رحمته تعالى بعبده زكريا ، فقد خاطب محمداً ﷺ بقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (١٠٧) ﴾ [الأنبياء] فرحمة الله تعالى بمحمد ليست رحمة خاصة به ، بل هى رحمة عامة لجميع العالمين ، وهذه منزلة كبيرة عالية .

فالمراد من ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) ﴾ [مريم] يعنى هذا الذى يُتلَى عليك الآن يا محمد هو ذِكْر وحديث وخبر رحمة ربك التى هى أجلُّ الرحمات بعبده زكريا . وسبق أن أوضحنا أن العبودية للخَلْق مهانة ومذلَّة ، وهى كلمة بشعة لا تُقبل ، أما العبودية لله تعالى فهى عِزٌّ وشرف ، بل مُنتَهى العزّ والشرف والكرامة ، وعللنا لذلك بأن العبودية التى تسوء وتُحزن هى عبودية العبد لسيد يأخذ خيره ، أما العبودية لله تعالى فيأخذ العبد خير سيده .

لكن ، ما نوع الرحمة التى تجلى الله تعالى بها حين أخبر رسوله ﷺ بخبر عبده زكريا ؟

قالوا : لأنها رحمة تتعلق بطلاقة القدرة فى الكون ، وطلاقة القدرة فى أن الله تبارك وتعالى خلق للمسبِّبات أسباباً ، ثم قال للأسباب : أنت لست فاعلة بذاتك ، ولكن بإرادتى وقدرتى ، فإذا أردتُك ألاَّ تفعلى أبطلْتُ عملك ، وإذا كنت لا تنهضين بالخير وحدك فأنا أجعلك تنهضين به .

ومن ذلك ما حدث فى قصة خليل الله إبراهيم حين ألقاه الكفار فى النار ، ولم يكن حظ الله بإطفاء النار عن إبراهيم ، أو بجَعْل النار بَرْداً وسلاماً على إبراهيم أن يُنجى إبراهيم ؛ لأنه كان من الممكن ألاَّ يُمكّنَ خصوم إبراهيم عليه السلام من القبض عليه ، أو أن يُنزِل مطراً

يُطفىء ما أوقدوه من نار ، لكن ليست نكاية القوم فى هذا ، فلو أفلتَ إبراهيم من قبضتهم ، أو نـزل المطر فأطفأ النار لقالوا : لو كُنَّا تمكنَّا منه لفعلنا به كذا وكذا ، ولو لم ينزل المطر لفعلنا به كذا وكذا .

إذن : شـاءت إرادة الله أنْ تكيـد هؤلاء ، وأن تُظـهـر لهم طلاقـة القـدرة الإلهية فـتُمكّـنهم من إبراهيم حتى يلقـوه فى النار فعـلاً ، ثم يأتى الأمر الأعلى من الخـالق سبحـانه للنار أن تتعطل فـيها خاصـية الإحراق : ﴿قُلْنَا يَـنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء]

وكذلك فى قصـة رحمة الله لعبده زكريا تـعطينا دليلاً على طلاقة القدرة فى مسألة الخَلْق ، وليلفتنا إلى أن الخـالق سبحانه جعل للكون أسباباً ، فمَنْ أخذ بالأسباب يصل إلى المسبَّب ، ولكن إياكم أنْ تُفتَنوا فى الأسباب ؛ لأن الخالق سـبحانه قد يعطيكم بالأسباب ، وقـد يُلغيها نهائياً ويأتى بالمسبَّبات دون أسباب .

وقـد تجلَّتْ طلاقة الـقدرة فى قـصة بَدْء الـخَلْق ، فنحن نعلم أن جمهرة الناس وتـكاثرهم يتم عن طريق التزاوج بين رجل وامرأة ، إلا أن طلاقة القدرة لا تتوقف عند هذه الأسبـاب ، والخالق سبحانه يُدير خلقـه على كُلِّ أوجـه الخَلْق ، فيـأتى آدم دون ذكـر أو أنثى ، ويخلق حواء من ذكر دون أنثى ، ويخلق عيسى من أنثى بدون ذكر .

فالقدرة الإلهية ـ إذن ـ غير مُقيَّدة بالأسباب ، وتظلّ طلاقة القدرة هذه فى الخَلْق إلى أنْ تقـومَ الساعة ، فنرى الرجل والمـرأة زوجين ، لكن لا يتم بينهما الإنجاب وتتعطل فيهـما الأسباب حتى لا نعتمد على الأسباب وننسى المسبِّب سبحانه ، فهو القائل :

﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَـٰوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا

وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾ [الشورى]

وطلاقة القدرة فى قصة زكريا عليه السلام تتجلى فى أن الله تعالى استجاب لدعاء زكريا فى أنْ يرزقه الولد . قال تعالى : ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾﴾ [مريم]

أى : رحمه الله ، لكن متى كانت هذه الرحمة ؟

يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾

أى : فى الوقت الذى نادى فيه ربه نداءً خفياً .

والنداء لَوْنٌ من ألوان الأساليب الكلامية ، والبلاغيون يقسمون الكلام إلى : خبر ، وهو أن تخبر عن شىء بكلام يحتمل الصدق أو الكذب . وإنشاء ، وهو أنْ تطلب بكلامك شيئاً ، والإنشاء قَوْلٌ لا يحتمل الصدق أو الكذب .

والنداء من الإنشاء ؛ لأنك تريد أن تنشىء شيئاً من عندك ، فلو قُلْت : يا محمد فأنت تريد أن تنشىء إقبالاً عليك ، فالنداء - إذن - طلَبُ الإقبال عليك ، لكن هل يصح أن يكون النداء مع الله تعالى بهذا المعنى ؟ إنك لا تنادى إلا البعيد عنك الذى تريد أن تستدنيه منك .

فكيف تنادى ربك - تبارك وتعالى - وهو أقرب إليك من حبل الوريد ؟ وكيف تناديه سبحانه وهو يسمعك حتى قبل أن تتكلم ؟ فإذا كان إقباله عليك موجوداً فى كل وقت ، فما الغرض من النداء هنا ؟ نقول : الغرض من النداء : الدعاء .

ووصْف النداء هنا بأنه : ﴿ نداء خفيًا (٣) ﴾ [مريم] لأنه ليس كنداء الخلْق للخلْق ، يحتاج إلى رفْع الصوت حتى يسمع ، إنه نداء لله - تبارك وتعالى - الذى يستوى عنده السر والجهر ، وهو القائل : ﴿ وأسرُّوا قولكم أو اجْهروا به إنّه عليمٌ بذات[1] الصُّدُور (١٣) ﴾ [الملك]

ومن أدب الدعاء أنْ ندعوه سبحانه كما أمرنا : ﴿ ادْعُوا ربَّكُمْ تضرُّعًا وخُفْية .. (٥٥) ﴾ [الأعراف]

وهو سبحانه ﴿ يعْلمُ السِّرَّ وأخْفى (٧) ﴾ [طه] أى : وما هو أخْفى من السر ؛ لأنه سبحانه قبل أن يكون سراً ، علم أنه سيكون سراً .

لذلك ، جعل الحق سبحانه أحسن الدعاء الدعاء الخفى ؛ لأن الإنسان قد يدعو ربه بشىء ، إنْ سمعه غيره ربما استنقصه ، فجعل الدعاء خفياً بين العبد وربه حتى لا يُفتضحَ أمره عند الناس .

أما الحق سبحانه فهو ستَّار يحب الستر حتى على العاصين ، وكذلك ليدعو العبد ربَّه بما يستحى أنْ يذكره أمام الناس ، وليكون طليقاً فى الدعاء فيدعو ربه بما شاء ؛ لأنه ربُّه ووليه الذى يفزع إليه . وإنْ كان الناس سيحزنون ويتضجرون إن سألتهم أدنى شىء ، فإن الله تعالى يفرح بك إن سألته .

لكن لماذا أخفى زكريا دعاءه ؟

دعا زكريا ربه أنْ يرزقه الولد ، ولكن كيف يتحقق له هذا المطلب وقد بلغ من الكبر عتياً وامرأته عاقر ؟ فكأن الأسباب الموجودة جميعها مُعطَّلة عنده ؛ لذلك توجه إلى الله بالدعاء : يا رب لا ملجأ لى إلا أنت ، فأنت وحدك القادر على خَرْق الناموس والقانون ، وهذا مطلب من زكريا جاء فى غير وقته .

---

(١) أى : بما يخطر فى القلوب . قاله ابن كثير فى تفسيره (٣٩٧/٤) .

أخفاه أيضاً ؛ لأنه طلب الولد في وجود أبناء عمومته الذين سيحملون منهجه من بعده ، إلاّ أنه لم يأتمنهم على منهج الله ؛ لأن ظاهر حركتهم في الحياة غير متسقة مع المنهج ، فكيف يأمنهم على منهج الله وهم غير مؤتمنين على أنفسهم ؟ فإذا دعا زكريا ربه أنْ يرزقه الولد ليرث النبوة من بعده ، فسوف يغضب هؤلاء من دعاء زكريا ويعادونه ؛ لذلك جاء دعاؤه خفياً يُسِرُّه بينه وبين ربه تعالى .

سؤال آخر تنبغي الإجابة عليه هنا : لماذا يطلب زكريا الولد في هذه السن المتأخرة ، وبعد أن بلغ من الكبر عتياً ، وأصبحت امرأته عاقراً ؟

لقد أوضح زكريا عليه السلام العلة في ذلك في الآيات القادمة فقال : ﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .. (٦) ﴾ [مريم]

إذن : فالعلّة في طلب الولد دينية مَحْضة ، لا يطلبه لمغْنَم دنيوي ، إنما شغَفه بالولد لأنه لم يأمن القوم من بعده على منهج الله وحمايته من الإفساد .

لذلك قوله : (يرثني) هنا لا يفهم منه ميراث المال كما يتصوره البعض ؛ لأن الأنبياء لا يورثون ، كما قال النبي ﷺ : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »[1] وبذلك يخرج النبي من الدنيا دون أن ينتفع أحد من أقاربه بماله حتى الفقراء منهم .

فالمسألة مع الأنبياء خالصة كلها لوجه الله تعالى ؛ لذلك قال بعدها : ﴿ وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ .. (٦) ﴾ [مريم] أي : النبوة التي

---

(١) حديث متفق عليه . أخرجه مسلم في صحيحه (١٧٥٨) ، والبخاري في صحيحه (٣٠٩٢) بنحوه عن عائشة رضى الله عنها . ولفظ مسلم : إن أزواج النبي ﷺ حين توفى ﷺ أردن أن يبعثن عثمان بن عفان إلى أبي بكر ، فيسألنه ميراثهن من النبي ﷺ قالت عائشة لهن : أليس قد قال رسول الله ﷺ « لا نورث ما تركنا فهو صدقة ».

تناقلوها . فلا يستقيم هنا أبداً أن نفهم الميراث على أنه ميراث المال أو متاع الدنيا الفانى .

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ .. (١٦) ﴾ [النمل] ففى أىِّ شىء ورثه ؟ أورثه فى تركته ؟ إذن : فما موقف إخوته الباقين ؟ لابد أنه ورثه فى النبوة والملك ، فالمسألة بعيدة كل البعد عن الميراث المادى[1] .

ثم يقول الحق سبحانه أن زكريا عليه السلام قال :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ ﴾

هذا هو النداء ، أو الدعاء الذى دعا به زكريا عليه السلام : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي .. (٤) ﴾ [مريم] ويرد فى الدعاء أن نقول : يارب . أو نقول : يا الله ، فقال زكريا (رب) أى : يا رب ؛ لأنه يدعو بأمر يتعلق بعطاء الربوبية الذى يشمل المؤمن والكافر ، إنه يطلب الولد ، وهذا أمر يتعلق ببنية الحياة وصلاحها للإنجاب ، وهذه من عطاء الرب سبحانه وتعالى ، وإن كانت العلة فى طلب الولد إلهية ، وهى أنْ يحمل المنهج من بعد أبيه .

فكأن زكريا عليه السلام دعا ربه : يا ربِّ يا مَنْ تعطى مَنْ آمن بك ، وتعطى مَنْ كفر ، يا مَنْ تعطى مَنْ أطاع ، وتعطى مَنْ عصى ، حاشاك أن تمنع عطاءك عمَّن أطاعك ويدعو الناس إلى طاعتك .

---

(١) قال القرطبى فى تفسيره (٤٢٥٢/٦) : « للعلماء فيه ثلاثة أجوبة : قيل : هى وراثة نبوة . وقيل : هى وراثة حكمة . وقيل : هى وراثة مال . أما قولهم وراثة نبوة فمحال ، لأن النبوة لا تورث . ووراثة العلم والحكمة مذهب حسن » . وقال ابن كثير فى تفسيره (١١١/٣) : « اختار ابن جرير فى تفسيره قول أبى صالح : يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة » بتصرف .

أما الدعاء بالله ففى أمور العبادة والتكليف .

ثم يُقدِّم زكريا عليه السلام حيثيات هذا المطلب : ﴿رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي .. ④﴾ [مريم] والوَهَن هو الضعف ، وقال : ﴿وَهَنَ الْعَظْمُ.. ④﴾ [مريم] لأن لكل شيء قواماً فى الصلابة والقوة ، فمثلاً الماء له قوام معروف والدُّهْن له قوام ، واللحم له قوام ، والعصب والعظم وكل عناصر تكوين الإنسان ، والعَظْم هو أقوى هذه الأشياء ، والعَظْم فى بناء الجسم البشرى مثل (الشاسيه) فى لغة العصر الحديث ، وعلى العظم يبنى جسم الإنسان من لحم ودم وعصب ، فإذا أصاب العظام - وهى أقوى العناصر - ضعفٌ ووهنٌ فغيرها من باب أَوْلى .

لذلك ، فإن الرجل العربى حينما شكا الجدب والقحط ماذا قال ؟ قال : مرَّتْ بنا سنون صعبة : فَسنة أذابتْ الشحم - أى : بعد الجوع وعدم الطعام - وسنة أذهبت اللحم - أى : بعد أن أنهت الشحم - وسنة محَّت العظم .

فكأن العَظْم هو آخر مخزن من مخازن القوت فى جسم الإنسان ساعة أن ينقطع عنه الطعام والشراب . والعظم فى هذه الحالة يُوجِّه غذاءه للمخ خاصة ؛ لأنه ما دام فى المخ بقية قبول حياة فما حدث للجسم من تلف قابل للإصلاح والعودة إلى طبيعته ، إذن : فسلامة الإنسان مرتبطة بسلامة المخ .

لذلك نجد الأطباء فى الحالات الحرجة يُركِّزون اهتمامهم على سلامة المخ ، ويرتبون عليه حياة الإنسان أو موته ، حتى إن توقف القلب فيمكنهم بالتدليك إعادته إلى حالته الطبيعية ، أما إنْ توقف المخ فهذا يعنى الموت .

فكأن نبي الله زكريا ـ عليه السلام ـ يقول : يارب ضعف عظمي ، ولم يَعُدْ لديَّ إلا المصدر الأخير لاستبقاء الحياة .

ولما كان العظم شيئاً باطناً مدفوناً تحت الجلد ، فهو حيثية باطنة ، فأراد زكريا عليه السلام أنْ يأتيَ بحيثية أخرى ظاهرة بينة ، فأتى بأمر واضح : ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا .. (٤)﴾ [مريم] فشبَّه انتشار الشيب في رأسه باشتعال النار ، فالشعر الأبيض الذي يعلوه واضح كالنار .

والمتأمل في هذا التشبيه يجد أن النار أيضاً تتغذى على الحطب وتظل مشتعلة لها لهب يعلو طالما في الحطب الحيوية النباتية التي تمد النار ، فإذا ما انتهتْ هذه الحيوية النباتية في الحطب أخذت النار في التضاؤل ، حتى تصير جَذْوة لا لَهبَ لها ثم تنطفىء .

واشتعال الرأس بالشيب أيضاً دليل على ضعف الجسم ووَهَن قُوته ؛ لأن الشعر يكتسب لونه من مادة مُلوِّنة سوداء أو حمراء أو صفراء توجد في بُصَيْلة الشعرة ، وتُمد الشعرة بهذا اللون ، وضَعْفُ الجسم يُضعف هذه المادة تدريجياً ، حتى تختفي ، وبالتالي تخرج الشعرة بيضاء ، والبياض ليس لوناً ، إنما البياض عدم اللون نتيجة ضَعْف الجسم وضَعْف الغُدَد التي تفرز هذا اللون .

لذلك ، نجد المترفين الذين يعنون كثيراً بشعرهم ويضعُون عليه المواد المختلفة أول ما يظهر الشيب عندهم تبيض سوالفهم ؛ لأن السوالف عادة بعد أنْ يُهذِّبها الحلاق تأخذ أكبر قدر من المواد الكاوية التي تؤثر على بُصيْلات الشعر وعلى هذه المادة الملونة ، والشعرة مثل الأنبوبة يسهل توصيل هذه المواد منها خاصة بعد الحلاقة مباشرة وما تزال الشعرة مفتوحة .